

المنظورات : دعوة عامة لعلم الانسان الاجتماعي

الرؤية كعالم في علم الانسان : مهنة علم الانسان

الاهداف التعليمية

- تحديد الطرق التي يصبح بها " الاطلاع كعالم في علم الانسان" مختلفا عن اسلوب الثقافات المحلية المستخدمة بواسطة وكالات التنمية الدولية.
- شرح سبب تفضيل " الممارسات التقليدية الضارة" للتغيير بواسطة وكالات التنمية و وصف مدي كون المواقف السلبية تجاه تلك الممارسات ان تصبح "سيئة لهم, و جيدة لنا".
- تقييم اسباب وجود تأثيرا محدودا لمنظورات و تقنيات علم الانسان علي تصميم و اهداف مشروعات التنمية الدولية.

ماذا يعني ان نري و نسمع ما لا يمكن للاخرين رؤيته و سماعه و كيف يمكن ان يتم تطبيق تلك المعلومات المميزة بشكل عملي؟ ان ندرة وجود الاجابة البسيطة تتلائم مع علم الانسان لان عمل العالم الاختصاصي في علم الانسان احيانا يبرز ان التفسيرات المبسطة هي فقط جزء من القصة المركبة للثقافة الانسانية.في هذا الفصل, قمت بتقديم امثلة حول كيفية تطبيق القدرة علي الرؤية و السمع بشكل عملي و كيف تضيف تلك المهارات قيمة لمنهج علم الانسان الثقافي – الاجتماعي المرتبط بالتنمية الدولية. بالاخص, لقد أقيت الضوء علي التحديات المحتملة لتطبيق علم الانسان في المنظمات الغير حكومية. لوجود الخصوصية الاخلاقية في علم الانسان, قمت بحذف التفاصيل الخاصة بالدولة, و المنظمة, و المجموعات العنصرية علي قدر المستطاع و التركيز علي العمليات المتضمنة.

بالرغم من ان التعليم في علم الانسان يؤكد علي اهمية الخصوصية و النتائج التابعه لجذب الانتباه الي الاشخاص و المجتمعات, فليس من الصواب الانغماس فيها حتي تقوم باجراء عملك الميداني اولا و ان يتحول "الموضوعات" الي اشخاص لها اسماء, و عائلات و مشاعر. من احد اهم التحديات الاخلاقية التي تواجه العالم الاختصاصي في علم الانسان فيما يخص الكتابة عن الاشخاص و المجتمعات هو الاهتمام الزائد المنصب اليهم عندما ينوي العالم الاختصاصي في علم الانسان توضيح ان الموضوع قد يمتد ليتعدي اشخاص و مجتمعات معينة و هكذا يمكن ان يكون لديه نتائج سلبية. علي سبيل المثال, قمت باجراء برنامج امن دولي للانترنت بحيث يتم في عدد محدد من

المجتمعات. اذا تم تحديد الاشخاص و المجتمعات المشاركة بشكل واضح , فانهم قد يخضعون لنتائج سياسية سلبية مثل فقدان الخدمات الاجتماعية المقدمة من الحكومة او فقدان وظائفهم. بدلا من ذلك, يتم حماية هوية الاشخاص و المجتمعات, و يتم تحديد الاهتمامات و التحديات بطريقة تحمي هؤلاء المشاركون بأوقاتهم و افكارهم في العملية البحثية. ان اخفاء الهوية الكامل شئ غير مرغوب دائما او غير محتمل لكنه دائما فكريا هاما عند علماء علم الانسان.

خلال الاعوام العشرة السابقة, قمت بالعمل لدي المنظمات الغير حكومية – حوالي خمسة اعوام في افريقيا الشرقية و فترة اقصر في اسيا و الشرق الاوسط – كمتطوع, و موظف, و مرشد مع المجموعات المجتمعية و المنظمات الدولية و القومية. في هذا الفصل, قمت باكتشاف احد تلك التجارب للتوصل الي الاحساس بما يراه عالم علم الانسان من خلال تحليل الجهودات للقضاء علي الحظر الغذائي بواسطة منظمة التنمية الدولية الغير حكومية. هذا الفصل مستوحى من عمل العالم السياسي و عالم علم النفس جيمس سكوت, بالاخص في نظريته كدولة (١٩٩٨). و لقد تقدمت بالتركيز للامام في علم الانسان كمهنة و طريقة رؤية.

علم الانسان و التنمية

يتم فهم علم الانسان الثقافي – الاجتماعي بشكل افضل من خلال قسمه الرئيسي لتجميع البيانات: ملاحظة المشاركين. هذا المكون الرئيسي للبحث العرقي يتضمن علي المشاركة الطويلة الامد, و العيش مع و التعلم من المجتمع الثقافي الذي يختلف عن مجتمع الفرد. بالاستماع, و التعلم, و رؤية العالم من منظور الاخرين, يركز علماء علم الانسان علي فكرة النسبية الثقافية. و يتعارض ذلك مع العنصرية, حيث ان المعتقدات الثقافية للفرد, و قيمه و منظمته المجتمعية تكون حقيقية و صحيحة و الاخرين علي خطأ لحد ما. تفترض النسبية الثقافية ان الممارسات و الافكار الثقافية يجب ان يتم فهمها من خلال سياقاتهم.

في الماضي, شارك بعض علماء علم الانسان في أنشطة التنمية للحكومات الاستعمارية, و كان يتعرض علماء علم الانسان الفرديين و النظام ككل للانتقاد بسبب ادوارهم في الافعال الظالمة التي نتجت. اثناء العمل في افغانستان في عام ٢٠١٣, قمت بمواجهة علماء علم الانسان اللذين تورطوا في الأنشطة المسماة بالتنمية و التي يمكن تعريفها بالمستعمر الجديد حيث يقومون بدعم الجيوش من خلال تحليل المجتمعات الثقافية بهدف ايجاد نقاط ضعفهم و دعم العلاقات الغير متكافئة و

الظالمة (الاستعمارية الثقافية). و لا تصبح المشاركة الخاصة بعلم الانسان دائما صادقة او حيادية. كنتيجة لذلك, تشجع علماء علم الانسان علي المشاركة في التفكير الانعكاسي الذاتي – لاختبار ادوارهم, و مشاركاتهم, و ممارساتهم, و اهدافهم بشكل انتقادي.

استمر وجود درجات متفاوتة لانتقاد الطبيعة, و الاهداف, و الفرضيات المثبتة للتنمية الدولية. البعض طلب من المشاركين في التنمية الدولية اصلاح انشطتهم لجعلها اكثر فاعلية , بينما عبر الاخرين عنهم بمزيد من الانتقادات العنصرية, بما في ذلك الرأي الخاص بأن تقديم المساعدة يتسبب في حدوث فقر شديد و يجب ان ينتهي ذلك. من المهم عند بناء التنمية, من حيث المبدأ و الفعل, ان نتساءل عن سبب و توقيت و كيفية حدوث التنمية المطلوبة و لمن و من يستثني منها. و ايضا يتطلب تحديد ديناميكية القوة و المحفزات المتضمنة. ان ادوات علم الانسان و طرق الرؤية من الطرق الهامة للاجابة علي تلك الاسئلة.

"الممارسات التقليدية الضارة"

كان تفاعلي مع المشروع المناقش في هذا الفصل محدودا من حيث التوقيت و كان لدي مهام معينة خاصة بتقييم البرنامج و تقييم التأثيرات و النتائج. و لقد تفاعلت مع فريق الادارة المتمركز في المقر الرئيسي الدولي و ايضا المقر الرئيسي العالمي, الذي زودني بالمعلومات حول المنطقة و التوقعات الموضحة قبل زيارة منطقة المشروع. لم يكن المشروع نفسه مجهزا بشكل اساسي للممارسات التقليدية الضارة, لكنه يتضمن علي مكونات مرتبطة بعدم المساواة النوعية و الممارسات التي تؤثر سلبا علي النساء. بعرض تلك المناقشات, يظهر ان فريق العمل و المتبرعين اللذين ينتمون لمكان ابعد من منطقة المشروع لديهم اهتمام كبير بتلك الممارسات التقليدية الضارة. و اعتمادا علي تأكيدهم, من الواضح ان الممارسات الاجنبية و الغربية لها التماسا رئيسيا و لا يحتاج للمشاركة. علي سبيل المثال, الاشخاص اللذين يبعدون عن الاشخاص الذي يدعمهم المشروع يهتمون بشكل اساسي بـ " تشويه الاعضاء التناسلية للاناث", و تبادل الزوجات, و الحرمان الغذائي المتنافر و الغير عقلاني.

علي الجانب الاخر, داخل كل مجتمع في منطقة المشروع, تم الاهتمام بكل من الرجال و النساء بشكل اساسي من حيث نقص مياه الشرب النظيفة و الرعاية الصحية. و لسوء الحظ, تلك الاهتمامات جذبت انتباه القليل من العالم الخارجي. في الواقع, العديد من المنظمات الحكومية التي تمويل التنمية الدولية قامت بتقييد تمويلها بشكل واضح

لذلك فان البنية التحتية للمياه غير مدرج في نفقات المشروع المصرح بها, بما فيها التبرع الحكومي للمشروع الذي كنت انا مشاركا فيه. نادرا ما يصرح بالسبب في حدوث ذلك بشكل واضح, حيث ان المناقشات الغير رسمية مع موظفي منظمة التنمية توضح الاستدامة و التكاليف المرتفعة هي قيد الاهتمام. ان بحث ابو لوغد (٢٠١٣) حول المنظورات الغربية للمرأة المسلمة, و بشكل موسع حول تصور "الآخرين" و احتياجاتهم, يقدم نظرة متعمقة في كيفية حدوث تحديد الاولويات للاحتياجات طبقا للفرضيات, و ليس طبقا للواقع.

" الممارسات التقليدية الضارة" هي مجموعة غريبة من الممارسات التي تتراوح من وشم الجسم و التخديش الي تبادل الازواج , و الزواج الاجباري حيث تصبح المرأة الأرملة زوجة لآخ زوجها السابق. ايضا تتضمن " الممارسات التقليدية الضارة" علي الافعال التي تعتبر فعلا اجراميا في الكثير من العالم, مثل الاختطاف و الاعتقال الغير قانوني . علي سبيل المثال, اللجنة القومية في اثيوبيا وضعت قائمة تشمل ١٦٢ من " الممارسات التقليدية الضارة". و بالرغم من ان الكثير من تلك الممارسات غير قانونية و تعتبر بشكل عام انتهاكات لحقوق الانسان, فان البعض لديه ممارسات مشابهه لكنها قانونية في الدول التي تتمركز بها المنظمات الدولية, مثل الوشم و التخديش. هناك امثلة متعددة " سيئة لهم, و جيدة لنا" يمكن صنعها. كل واحدة من تلك الممارسات و سياقها و قوانينها تتطلب وضع سياق ليتعدي ذلك الهدف من هذا الفصل. ان الامثلة المفيدة عن تفكيك احد الممارسات التي تم نقاشها, تشويه الاعضاء التناسلية للانثي, قام روبنسون (١٩٩٧) , و جيمس (١٩٩٨), و اوبرمير (١٩٩٩) و احمدو و شويدر (٢٠٠٩) و لوندونو (٢٠٠٩) بتوضيحها.

قام فريق عمل المشروع بتحديد عدد من " الممارسات التقليدية الضارة" التي يؤمنون بوجود توقفها, و سوف استكشف واحدة فقط منهم: مجموعة من الحرمان الغذائي الذي نؤمن بتأثيره السلبي علي تغذية النساء. بالاحص, هناك تركيز علي احد انواع الحرمان الغذائي : منع النساء من تناول البيض , حيث كان هو الحرمان الغذائي الوحيد الذي تم ذكره في كل تقرير قامت المنظمة بتقديمه.

لقد تعلمت من عرض المشروع انه يوجد " حرمان ثقافي" يمنع النساء من تناول البيض و الحليب؟ . لتناول ذلك, سيحسن المشروع طريقته و يقدم تدريبا عن القيمة الغذائية لتلك المنتجات. صرح تقرير التقييم الاولي ان هذا الحرمان لم يكن فقط الحرمان من استهلاك البيض, لكنه ايضا حرمان من استهلاك الدواجن. و فيما بعد اصبح من الواضح ان المنع كان فقط من تناول البيض و اللحوم لنوع معين من الطيور الذي كان

ينمو في منازل النساء او في منازل اقاربها. ايدت المنظمة ان هذه الممارسة كانت تؤثر سلبا علي النساء و الاطفال لانه يتم منع مصادر للتغذية بالفعل, بالاخص مصدرا هاما لقيتامين أ, و الذي يعتبر سوء تغذية يعاني منه السكان. بالرغم من ان التركيز الرئيسي كان علي عنصر البيض, قدمت تقارير لمنظمات داخلية معلومات مختلفة : النساء و الاطفال ايضا لا يتناولون لحم الماعز, و الحيوانات التي يتم صيدها او اي من منتجات الالبان.

كان من المعتقد ان استهلاك تلك المنتجات يسبب حدوث المرض و يسبب الموت لزوج الابنة, و بالتالي يتم الحرمان من تناوله. سنوات عديدة في المشروع اوضحت حدوث تغير بارز في تغذية الطفل و اقترح التقرير ان برامج التعليم و التدريب التي تناولت تثبيط الحرمان الغذائي كانت السبب وراء هذا التغيير. اقترح التقرير النوعي المفصل, الذي تم اجراؤه من خلال المشروع, ان الفتيات و النساء لا يزالون ممنوعون بشكل عام من تناول لحم الدجاج و البيض, لكن قدم بعض من دراسات الحالة عن التغير الايجابي الذي حدث. هذا التقرير خصوصا اشار الي والدة الزوج بانها الشخص الذي فرض المنع من تناول لحم الدجاج و البيض, في حين ان معظم التقارير صرحت ببساطة ان المنع كانت بسبب ثقافي بين مجموعاتهم العرقية او نتيجة الاعتقادات الخاطئة المجتمعية. بعد خمسة اعوام من العمل, استمر المشروع في المشاركة في الانشطة بشكل فعال بهدف تناول "المعتقدات الخاطئة" و " الممارسات التقليدية" عن عدم تناول البيض او شرب الحليب.

ذكر احد التقارير, الذي اكتمل في اعوام قليلة من المشروع, ان المقاومة البارزة لانشطة المشروع شجعت علي استهلاك البيض و لحوم الدجاج. و قد تم وصف " الممارسات التقليدية الضارة" بانها " حرمان خطير", و " معتقد عرقي عميق". هذا التقرير ذكر المنظمة الاخرى التي كانت تعمل علي اثبات "الخطأ من الحرمان" و احداثها تغييرا مميذا. و باللقاء مع فريق عمل الادارة في المكتب الرئيسي الدولي, سمعت بعض القصص العامة: هناك حرمان ثقافي يمنع النساء و الفتيات من تناول بعض انواع الطعام, و بالاخص البيض. و لقد كرر فريق العمل المتمركز في منطقة المشروع هذه المعلومة بشكل دائم.

مع ذلك, خلال اعوام المشروع تم فهم القليل جدا عن تلك الممارسة الخاصة. و تم تعريف الحرمان الغذائي و تقديم القليل من الاسباب المحتملة و احيانا اسباب جدلية عنها. ولم يستغرق اي احد بعض الوقت لفهم سبب تواجد هذا الحرمان الغذائي. فعندما قمت فيما بعد باكتشاف هذا السؤال, ذكر احد اعضاء فريق العمل الذي عاش و

عمل داخل المنطقة لعقدين تقريبا، " لم تتاح لي الفرصة لاعلم شئ عن هذا". تلك هي احد التحديات التي تواجه عالم علم الانسان اثناء العمل ضمن منظمة غير حكومية : احيانا يفترض ان الصعوبات التي تواجهها المجتمعات هي نتيجة الجهل و "الحل " هو النشاط التقني و المباشر مثل التعليم. اقر بان نقص فهم تلك الممارسات لم يكن نتيجة عوائق تعجيزية، لكنه نتيجة نقص التساؤل بلماذا و كيف و متي ، و اسئلة اخري تجعل من تلك الممارسات الثقافية غير قابلة للفهم. ان القدرة علي طرح هذا النوع من الاسئلة هي مهارة تعتمد علي طريقة عالم علم الانسان في الاطلاع و الرؤية. فبالنسبة لمن يتفق مع الخطط التي تهدف لتحسين ظروف الانسان، مثل التي وضعها سكوت، لم يكن من الغريب تناقص الاهتمام بطرح الاسئلة. و تهدف المنظمات في تعريف المشكلة و فرض الحل، و الانشطة المعتمدة علي الادلة التخطيطية لتحقيق الهدف. بالنسبة للكثير في قطاع التنمية الدولية، لم يكن من المهم العثور علي سبب لتواجد تلك الانواع من الحرمان. انهم يؤمنون بانه من المهم وقف تلك الممارسات الضارة.

لم نسأل مطلقا عنه من قبل

كتب المؤرخ ويبر ان " عندما ينظر المرء الي اشياء مختلفة، يري المرء اشياء مختلفة". لقد كان يشير الي النظر داخل النص، و انا اؤمن بنفس الشئ في انواع اخري من الملاحظة. يري علماء علم الانسان بشكل اساسي العالم من خلال عدسة مميزة و فريدة، و قدرتهم علي رؤية ما لا يراه الاخرين يتم دعمها من خلال الطرق العلمية الخاصة بعلم الانسان، و فروعه و افكاره. ان العالم المدني نفس الشئ، اما عدسة الرؤية مختلفة. بالمثل، المحترفون في المنظمات الغير حكومية – فريق عمل الادارة ، الاقتصاديون، اطباء، و خبراء التنمية – يحضرون تدريباتهم الخاصة و عدسات رؤيتهم فيما يخص المشكلات و احيانا يركزون علي الانواع المختلفة من المعلومات التي يوضحون اهميتها. بمعني اخر، منظوراتنا الشخصية تغير ما نراه.

التحدي العنصري لعلماء علم الانسان اللذين يعملون في التنمية الدولية هو ان المتبرعون و المنظمات و المشروعات تعمل احيانا بدون معلومات ثقافية اجتماعية مفصلة. كنتيجة لذلك، العديد من علماء علم الانسان يؤيدون حدوث تغيرات بارزة في كيفية عمل القسم. علي سبيل المثال، في تصميم المشروع، يتم تحديد الانشطة المقترحة احيانا قبل اجراء التقييمات الاساسية لاحتياجات المجتمع. عند الموافقة علي المشروع، و وضع الميزانية المالية له، من الصعب تماما ان يتم ضبط الهدف و المخطط، وفقا للمعرفة الجديدة باحتياجات المجتمع. فاحيانا يجد علماء علم الانسان العاملين في تلك المشروعات انفسهم في مجال تحدي لتأييد الاقسام الجديدة، مثل

التراكيب التمويلية المعتمدة علي الاحتياجات, بدلا من اولويات المتبرعين, و المرونة في البرمجة كما هو متعارض مع تنفيذ الانشطة الموضوعه و التي تم تحديدها في مخططات البرنامج.

في حالة الحرمان الغذائي المحددة ضمن هذا المشروع التنموي, قد اتضحت طرق متنوعه في التقارير, حيث ركزت المنظورات الطبية علي تأثيرات المحتوي الغذائي للاطعمة, و قد اهتم المتخصصون النوعيون بالاساءة الي حقوق المرأة, و حدد المخططون كيف يمكن للتغييرات السلوكية ان تظهر و تكاملها في المشروع باستخدام المعايير المعتمدة علي الادلة, و جذب الاقتصاديون الانتباه الي الدخل المحتمل الذي يمكن للنساء ان تحققه من خلال الدجاج و بيع البيض. بالرغم من مرور الزمن و حدوث بعض المقاومة القوية من الاشخاص في المجتمعات, اصبح الحرمان الغذائي يقدم كموضوعا ثقافيا او معتقدات خاطئة التي يمكن لاقسام التغيير السلوكية المعتمدة علي الادلة ان تزيلها. كان الهدف من الخطة هو " رفع الوعي", و اجراء " محادثات معتمدة علي المجتمع", " و تسهل تبادل الزيارات" مع المجتمعات التي لا تمارس الحرمان الغذائي, و تقدم تعليما غذائيا. علي الورق, الخطة تبدو جيدة. و ستعمل الانشطة المتنوعة علي تقوية التغير السلوكي مع تقديم كل وجهة نظر مميزة و هكذا نحصل علي تأثير مركب لتحقيق الهدف المرغوب. في السابق تم عرض الانشطة بانها ناجحة في نطاق البيئات. بالنسبة لفريق عمل المشروع, تم تجميع كل المعلومات المطلوبة.

بدأ عملي في قضاء الوقت مع الاشخاص في مجتمعاتهم و الاستفسار منهم حول موضوع الحرمان الغذائي – ماذا كانوا بالفعل و كيف تم تواجدهم – و قدم افراد المجتمع معلومات تفصيلية و هامة. و عندما تحدثت الي فريق العمل عن ذلك, اقرروا بانهم لم يسئلوا الاشخاص في المجتمعات ابدا عن تلك الاسئلة. ربما يكون هذا نوعا من الاهمال, لكن ما اراه هو ناتج منطقي لطريقة رؤية المرء للاشياء. عندما يتم تحديد الممارسة الجدلية و تقوم المنظمة باختبارها مع الانشطة التي تغير هذه الممارسة , عندها لماذا تكون التفاصيل مهمة؟ . من هذا المنظور, ستعمل العملية المملة لتجميع تلك البيانات علي اضاءة الموارد القيمة, و الوقت و المجهود. من المهم ان نلقي الضوء علي الطبيعة النظامية لرؤية المنظورات التقنية لهذا النوع, و التي تعتبر شائعة في الثقافات التنظيمية لبرامج التنمية الدولية و طاقم عملهم. انها غير مقيدة بعمال التنمية الدولية – المنظمات المحلية و القومية احيانا تعرض نفس الروايات حول

الحرمان الثقافي السيء الذي يمكن ان ينتهي من خلال تقديم التعلم عن التغذية و تشجيع النساء.

الرؤية كعالم اختصاصي في علم الانسان

عندما بدأت عملي في البرنامج, لم يكن لدي اي خبرة في التعامل مع المجموعة العنصرية التي تمارس الحرمان الغذائي و لم ذهب مطلقا الي تلك المنطقة. لقد تم ارسالي لزيارة عدد من المجتمعات كجزء من التقييم الغير مرتبط بالحرمان الغذائي و اجراء مناقشات مجموعات وفقا للنوع و وجهات النظر الشخصية. في المجتمع الاول الذي قمت بزيارته, لم يذكر الرجال البالغين اي شئ عن الحرمان الغذائي لكن النساء فعلاوا, و ما قالوه تم اضافته في تقارير المشروع. لقد قالوا ان القيود يتم فرضها فقط علي النساء البالغة المتزوجة, كما هو ملاحظ في احد التقارير الرسمية, و تلك القيود محددة فقط بلحم الدجاج المحلي الذي يتم تربيته في المنازل المحددة. فقامت بتدوين التعليقات و استمريرت في مهامي. في المجتمع الثاني , قمت باجراء لقاءات مع القادة الدينية من اثنين من الطوائف المسيحية التي ذكروا ايضا الحرمان الغذائي, واصفين اياه بالممارسات الشائعه للسحرة. في المجتمع الثالث و الرابع, قمت بمناقشات مطولة للكشف عن الموضوع الذي لم يقم اي شخص بطرح الاسئلة عنه : ما هو الحرمان الغذائي؟ لما الحرمان الغذائي موجود؟ ما الذي يجبرهم علي تلك الممارسة المستمرة؟ كيف يقوم الناس بعرض تلك الممارسات و ما هي عواقب من لا يتبع تلك الممارسة؟. كان اعضاء فريق العمل اللذين عملوا في المجتمعات مندهشين من المعلومات القيمة التي تم تجميعها من خلال طرح اسئلة بسيطة.

قام افراد المجتمع بصنع عدد من التوضيحات الهامة, بعضها تماشي مع ما تم عرضه في التقارير و البعض الاخر لم يتماشي معهم. لم تكن التفاصيل الخاصة بهذا الحرمان الغذائي رسمية في كل المجتمعات, حيث انهم تشاركوا في بعض الاتجاهات. علي سبيل المثال, بمجرد ان تتزوج المرأة تبدا في الظهور عدد من القيود, التي تتضمن علي الحرمان من تناول البيض و لحم الدجاج, بالرغم من ان ذلك ما يتم انتاجه فقط محليا او يتم تربيته في المنازل المحددة او منازل اقاربها. ولا يتم تطبيق القيود علي الاطفال او الفتيات العازبات, و لا يتم تطبيقها علي الانواع الاخرى من الدجاج. بالاضافة الي ذلك, يمكن للنساء ان يتناولن البيض و لحم الدجاج طالما انها ناتجة من مصدر مختلف, مثل البيض الناتج من دجاج الجيران. في بعض المجتمعات, يتم تطبيق ذلك ايضا علي لحوم الحيوانات التي يتم اصطيادها و الحليب. ان النساء اللاتي يستهلكون المنتجات الممنوعه يؤمنون بانهن يعانون من الامراض, مثل الانتفاخ و الحكاك, او قد

يؤدي ذلك الي موت اقربائهم. احد انشطة المشروع ارشد النساء الي احضار البيض الذي يمنع اكله الي فريق عمل المشروع, و من ثم يقومون بطهيه ثم يقوم النساء بتناوله. كان رد فعل البعض من النساء هو الرفض, و البعض قاموا بتناوله ثم تقيأوا, بينما الاخرون اتبعوا التعليمات بدون اعتراض قوي. ردود الافعال المشابهه لذلك تقترح وجود المنع اكثر من كونه مجرد اعتقاد خاطئ.

انا لن اتناوله حتي اموت

قام كبار السن في المجتمعات بتفسير ان الحرمان الغذائي هي واحدة من سلسلة القيود المتواصلة, البعض تم تحديده في المشروع بالضرار لكنه غير مرتبط بالحرمان الغذائي. بالاضافة الي الحرمان الغذائي, تضمنت القيود علي الحدود الخاصة بما يمكن للمرأة ان تلمسه و الاماكن التي يمكن ان تدخلها اثناء فترة الطمث, و منع الزوجة من تناول الطعام الناتج من المحصول الاول للموسم حتي بعد ان يقوم زوجها بذلك, و تمنع القواعد الزوجة من الشرب من اي مشروب كحولي حتي بعد ان يقوم زوجها بذلك . لدي عمال المشروع الكثير من تلك الممارسات, لكنهم يفسرونها كلا علي حدا كتقاليد منفصلة. وجهة نظر كبار السن عن تلك الممارسات المتصلة تقترح انهم يحتاجون فهمها كتوضيحات لاشياء اكبر.

لقد وجدت ان روايات المجتمعات تختلف لكن المعلومات و القواعد المحددة ثابتة. في الواقع ,كان الحرمان الغذائي جزءا صغيرا من نظام المعتقدات المفصلة التي تؤثر علي الكثير من مكونات الحياة اليومية. منذ اثنين من الاجيال مضوا, كان هناك قائد محترم من مجموعتهم العنصرية لديه صفات خارقة. كان اسمه جمزانجيلا, و كان يقود المجتمع و يتولي دورا بارزا في القيادة الدينية. بالرغم من التحدث عن جمزانجيلا, استمر وجوده في المجتمع . ان وجوده اثر علي ما حدث, و يمكنه ان يجلب المرض, و يمكنه ان يستدعي اللعنات. البعض يؤمن بان جومزنيلا كان شخصا, و الاخرون يؤمنون بانه شخص خارق دائما. بغض النظر, الايمان بجمزانجيلا كان امرا خطيرا, و آمن الناس به, و صدقوا بان قوانينه صحيحة, و انه شهد علي نتائج الفشل في اتباعهم. حيث ابتدع جمزانجيلا القيود و الحرمان الغذائي للمرأة. احد القصص تروي ان رضيعه الاول قد ولد و هو ماسكا ورقة شجر لنبات محدد كان يستخدم للشفاء من الامراض الروحانية. و كان العلاج من المرض امرا شائعا في ذكريات جمزانجيلا و كان ذلك سببا رئيسيا في استمرار الناس في طلب مساعدته. عدم طاعة جمزانجيلا كانت نتيجته الاصابة باللعنات, و في بعض الاحيان عندما يعترض شخص علي قانون ما و

احيانا اخري علي الاقارب يتم تعريضه للحرمان الغذائي. و تتراوح اللعنات من الاصابة بالامراض مثل الحكاك الشديد او الانتفاخ ليصل الي حد موت الاقارب.

بالاضافة الي منع عدد من السلوكيات للنساء, قام جمزنجيلا بتحديد اتجاهات معينة لاتباعها الناس, احيانا تصبح وفقا لتعليمه, الذي تلقاه عبر الوساطة الروحانية في المجتمع الذي تواصل معه جمزنجيلا. علي سبيل المثال, لقد وصف جمزنجيلا علاجا يتضمن علي قطع مخلب الدجاج و وضعه علي سرّة بطن الشخص المصاب الذي يحتاج لعلاج. و يتم ترك المخلب لمدة اسبوع, و لا يمكن للشخص الاستحمام اثناء تلك الفترة. و في نهاية الاسبوع, يتم ازالة المخلب و يقوم الشخص بالاستحمام. يمكن للشخص المصاب فقط ان يتناول الدجاج الذي تم قطع مخلبه.

في كل مجتمع, يتواجد وسيط ممارس روحي معروف , ذكر و انثي, حيث يذهب اليهم الناس ليتواصلوا مع جمزنجيلا. انهم يبحثون عن الاشكال المتعددة للدعم او يطلبون وضع اللعنات علي شخص ما. و يتم اعطاء الباحث بعض التعليمات ليقوم باشيء محددة او يكف عن القيام بعمل معين. في بعض الاوقات يتم تقديم التضحيات و النقود, و يطلبها حمزنجيلا عادة لاجل المناسبات الروحانية الطويلة اثناء الليل حيث يتم اداء الطقوس و تقديم التضحيات.

اشار احد تقارير المشروع الي الحرمان الغذائي بانه متأصل بشكل عميق, و من السهل فهم سبب هذه الحالة. حيث كان الحرمان الغذائي من مكونات نظام اعتقادي كبير, انهم عبارة عن أنشطة تكميلية مطلوبة من خلال التقاليد الدينية المجتمعية و يتم العمل بها بجدية. و كما لاحظ احد اعضاء المجتمع, انهم جزء من قانون جمزنجيلا.

هناك تحليل مختصر يوضح جدية هذه النقطة. تصور ان الاشخاص في مجتمعات المشروع كانوا تابعين لليهودية او الاسلام, الديانات التي تمنع استهلاك عدد من الاطعمة, بما فيها لحم الخنزير. ان منظمة التنمية الدولية و اعضاء فريق العمل الخاص بها قد يثبتون وجود نقص في البروتينات الامر الذي يمكن حله بواسطة الاشخاص اللذين يستهلكون لحم الخنازير و يظهرون الحرمان علي انه ممارسة تقليدية ضارة يجب ان يتم ازالتها من خلال تعلم قيمتهم الغذائية. بالاضافة, فان افراد المجتمع البائسين يمكن ان يتم تشجيعهم لبيع الخنازير لانتاج الدخل. و لان الديانة اليهودية و الاسلامية هما الاكثر انتشارا بين الملايين من التابعين لهما, يبدو انه من المستحيل محاولة اقناعهم بتناول لحم الخنازير معتمدا علي الاسباب الاقتصادية و الغذائية. لكن قانون جمزنجيلا هو ايضا نظام معتقدات و يهتم به المجتمع في المشروع بالضبط

مثل الديانة الاسلامية و اليهودية و تابعيهم. لقد فشل المشروع في ادراك ان الحرمان الغذائي كان جزءا من نظام معتقدات متكامل و ان المنظمة قد صنعت المتطلبات التي تواجه بشكل مباشر المعتقدات و القيم الهامة ثقافيا. كنتيجة لذلك,تم عرض أنشطة المشروع بانها اهانة لمعتقداتهم الدينية و للانسان الصالح المحترم الذي اصبحت القواعد روحه.

لقد سألت مجموعة من الرجال هل يمكن للفرد ان يستمر في الايمان بجمزنجيلا و ان لا يمارس الحرمان الغذائي من الدواجن و البيض. ردوا , لا, من المستحيل. و اضافوا " انا أو من بجمزنجيلا. لقد رأيت التأثيرات و النتائج, و لا يتم اي شفاء الا من خلال جمزنجيلا". و لقد وضخوا انه لا يوجد شفاء من خلال الاطباء, فقط جمزنجيلا هو من يمكنه شفاء الامراض". لقد اعتنق النساء تلك المعتقدات ايضا. علي سبيل المثال, العديد من الاعوام في المشروع , صرحت امرأه انها" لن تأكل البيض حتي الموت". اجابتها عكست مدي قوة معتقداتهم بالرغم من مجهودات المشروع. و لقد اتفق اغلبية افراد المجتمع علي ان الايمان بجمزنجيلا كان امرا صحيحا و انهم يجب ان يتبعوا النظام الموضوع. كان جمزنجيلا حاضرا في حياتهم و منازلهم و يؤثر علي حياتهم اليومية. لقد قاموا بتجربة ذلك و علموا انهم علي صواب.

احد افراد المجتمع ترك جمزنجيلا و قام بتجربة معتقد مختلف, اما المسيحية او الاسلامية. السبب الرئيسي لتركهم جمزنجيلا و ترك عادة الحرمان الغذائي كان ألهيات دينهم الجديد. حيث تأكل النساء البيض, و تهجر قواعد فترة الطمث, و البحث عن المساعدة الطبية من الاطباء المحليين بدلا من البحث عن الشفاء من الوسطاء الروحانيين. ان هجر الحرمان الغذائي يتطلب هجرا لنظام المعتقدات , و التحول الديني اما الي ديانة جديدة او الي رفض الاعتقاد (علي الاقل نظريا), انا لم اواجه اي من افراد المجتمع قاموا برفض المعتقد نهائيا).

حالة فريدة؟

هل هذا المشروع مميذا ام هل الرؤية الضيقة للمشاركين هي السائدة في التنمية الدولية؟ مشروعا اخر قمت بالانضمام اليه كان يتم تنفيذه من خلال المنظمة الزراعية التي كانت تحفز علي التغييرات في طرق الزراعة و الذي يهدف الي زيادة المحاصيل. و يدرك المزارعين ان طرق الزراعة الحديثة تعمل علي زيادة المحاصيل و لكن لا تعتمد عليها. السبب الرئيسي لهذا الفشل هو الطريقة المختلفة في التفكير حول اهمية الحياة الزراعية – و كانت المنظمة تحفز الحبوب قصيرة الامد و كان المزارعون يفضلون

الاستدامة الطويلة الامد للتربة. تأكدت منظمة زراعية اخري و متبرعيها بان سوء التغذية للاطفال في المنطقة هو نتاج نقص المعرفة عن القيم الغذائية للاطعمة المتعددة المستهلكة لانقاص عيوب سوء التغذية, و لقد قاموا بتطوير سلسلة من المشروعات التعليمية لتواجه تلك المشكلة. لكن بعد قضاء الوقت مع افراد المجتمع, ادركوا ان نقص التنوع في انظمتهم الغذائية هو نتيجة وجود القليل من الاختيارات, بشكل اساسي بسبب الفقر, و ان سوء التغذية كان مرتبطا مع النقص الغذائي الموسمي و لا يمكن ان يتم زيادته من خلال التعليم. ان انشطة تلك المشروعات اظهرت فائدها, لكنهم لم يواجهوا المشكلة الفعلية, حيث تم تصميم المشروعات طبقا للفرضيات التي تناولت كل من المشكلات و الحلول و لكنهم فشلوا في تقييم المعلومات السياقية و العرقية.

احيانا تعمل الاقسام التقنية علي استثناء السياق الاجتماعي – السياسي الذي يتم من خلاله التطبيق, و بشكل كامل يفتقد الطبيعة السياسية للمشروع و انشطته. ان مجهود التدريب المهني الذي عملت به في الشرق الاوسط, علي سبيل المثال, فشل, ليس بسبب عدم تفهم الاحتياج الي التعليم, لكن لان السياق الاجتماعي – السياسي الذي يحدث فيه كان مهمل, و لم يتم تناول الانظمة التعليمية السيئة الجودة المتواجدة بالفعل لان تحسين الجودة للتعليم لم يكن هو الهدف. بشكل مماثل, عند تقييم شبكة الامان الاجتماعي الذي تم ذكره في البداية, فان الطبيعة السياسية لتنفيذ المشروع لم تكن معلومة بالشكل المناسب من خلال منظمات التمويل الدولية. هكذا, فان التجربة التي تم استكشافها في هذا الفصل ليست غير شائعة, و من الواضح ان الطريقة العرقية للرؤية تسمح بظهور موضوعات اوسع مجالا – الثقافية, الاجتماعية, السياسية – التي يمكن ان يتم دمجها ضمن اهداف المشروع و انشطته. هناك مناطق تفتقد الاقسام و التقييمات التقنية.

الانعكاسات

ماذا يفعل علماء علم الانسان الاجتماعي - الثقافي ؟. لا توجد اجابة مفردة لهذا السؤال. يوجد هناك مهارات يكتسبها علماء علم الانسان فيما يخص طرق الرؤية و الاستماع الواضحة و المميزة و التي يمكن تطبيقها علي العديد من البيئات المختلفة. بعض علماء علم الانسان يستخدمون تلك المهارات لتسهيل عملية صناعه السياسات التي تتصف بتعدد ثقافات و شموليتها, البعض انشغل بالاقليات التفسيرية ضعيفة, و الآخرون يشجعون فاعلية تسويق البضائع الاستهلاكية. هذا الفصل يفسر كيف قمت باستخدام طريقة علم الانسان في الرؤية و الاطلاع لوضع سياق للافعال التنموية, و

الأشخاص الذين يتم لهم هذه التنمية و استكشاف التحديات الأخلاقية التي يواجهها علماء علم الإنسان عند العمل في قطاع التنمية الدولية و العمل مع المنظمات الغير حكومية.

بشكل عام, وجدت ان العديد من الأشخاص الذين يعملون في منظمات التنمية الدولية لم يدركوا حتي الان قيمة طرح الاسئلة علي العديد من الأشخاص حول سبب قيامهم بفعل ما يفعلونه . من وجهة نظر عالم علم الإنسان, فان فهم سبب ظهور تلك الممارسات لم يعد عبارة عن مجرد استطلاع, انه عبارة ايضا عن طرق التعبير عن التقدير للأشخاص و معرفتهم و قضاء الوقت في الاستماع و التعلم و المشاهدة. القسم المثالي للمشاركات التنموية توصل بوضوح و ببساطة وجود نقص في التقدير و الاحترام لثقافة و قيم و افكار الأشخاص الذي يرغب المشروع في دعمهم.

ان الاحترام المتأصل في وجهة نظر علماء علم الإنسان يعتمد علي النسبية الثقافية, التي تقود العملية الاستطلاعية. و يرتبط الافتراض بفهم السياق النسبي للممارسات الخاضعة للنقاش. احيانا يقوم فريق عمل منظمات التنمية بفرض الاحكام طبقا لفضياتهم و لا يرون قيمة من القيام بالتحقيقات فيما بعد. تلك النظرة الضيقة تعتبر عائقا لنجاحهم. من المهم, عند النظر و التفكير كعالم اختصاصي في علم الإنسان, ان تتواجد الرغبة في فهم وجهات نظر الأشخاص الأخرى و احترام افكارهم. كعالم في علم الإنسان, لم يكن مطلوب مني ان أومن بجمزنجيلا. ومع ذلك, كان تدريبي و تعليمي يؤهلاني لفهم و البدء في رؤية العالم من منظور تواجد في ذلك الاعتقاد. ان قدرتي و رغبتي في رؤية الواقع من منظورات أخرى غير منظوري الشخصي هو من المهارات الرئيسية - القدرة علي رؤية ما لا يراه الأشخاص و سماع ما لا قد يسمعه بعض الأشخاص. و يمكن لعالم علم الإنسان ان يربط أنشطة جهودات التنمية الدولية بالقيم الثقافية ليعملوا معا بدلا من ان يتعارضوا مع بعضهم البعض. ان تعريف نظام المعتقدات الشامل الذي يتضمن علي معتقد الحرمان الغذائي , علي سبيل المثال, قام بانشاء طرق جديدة للحلول الثقافية و العملية و التقديرية لمشكلة فقر التغذية للنساء و الأطفال.

ان موضوع جهودات منظمة التنمية تركت غير مكتملة. هل قام المجتمع بالمقاومة؟ هل قامت المنظمة بتغيير انشطتها؟ هل تم دعم التعلم المختلف و الثقافة المعتمدة علي التساؤل في المنظمة؟ هل استمر المعتقد الخاص بجمزنجيلا؟ هل نجحت المنظمة في تغيير السلوكيات؟ هل اجتاز المجتمع الضغط الخارجي؟ هل خضع معظم الأشخاص لتأييد المشروع ام هل وجدوا الطرق لتضليل و انحراف و اعادة توجيه التأييد الخارجي؟ .

كما كنت اتمني من هذا الفصل ان يقوم بتوصيله , ان استجابات الناس للمجهودات التي تبذل لتغييرهم هي استجابات معقدة. حيث يلعب عالم علم الانسان دورا هاما من خلال توسيع رؤية المنظمة بذلك يمكن ان يصبح برنامجها و انشطتها متحيزة بشكل افضل مع واقع الناس اللذين تم تصميم و تنفيذ البرنامج لاجلهم.

اسئلة المناقشة

١- متخصصي التنمية الدولية اللذين تم وصفهم في هذا الفصل كانوا يؤكدون علي ازالة معتقد الحرمان الغذائي المرتبط " بقانون جمرنجيلا" , لكن كوكران يشير الي ان تلك القواعد هي جزء من نظام اعتقادي اكبر. هل هناك مواقف يتم القبول فيها بمحاولة تغيير القيم الثقافية لمجموعة ما بهدف تحفيز التغييرات في حقوق المرأة و صحتها و تغذيتها؟ ام, هل تعتقد انه من غير المناسب للعالم الخارجي ان يطلب هذا التغيير؟ هل تعتقد انه من المحتمل ان يتم تحقيق الاهداف, مثل تحسين التغذية, بدون الضغط علي المجموعات لتغيير قيمهم و معتقداتهم؟

٢- قدم كوكران العديد من الامثلة للمواقف التي تقوم فيها طرق و وجهات نظر عالم علم الانسان باستكشاف المعلومات الهامة حول المجتمعات المحلية التي لم يتدخل فيها متخصصي التنمية. مع ذلك, فان نقص المعرفة بالثقافات المحلية التي تميز العديد من مشروعات التنمية لا تحدث نتيجة نقص خبرة عالم علم الانسان. ما هي العوامل الاخرى المذكورة في هذا الفصل التي تشارك في عدم التوافق ما بين احتياجات الاشخاص المحليين و اهداف مشروعات التنمية الدولية؟

نبذة عن المؤلف

لوجان كوكران هو باحث فانيير في جامعة كولومبيا البريطانية (اوكاناجان). عمل عبر البحار في الاثني عشر عاما الماضية, بما في ذلك افغانستان, بنين, بروندي, جمهورية الكونغو الديمقراطية, اثيوبيا, تنزانيا, و اوغندا. عمل لوجان كمستشار مع الوكلاء المتواجدون في العلوم الادارية للصحة, و انقاذ الاطفال, مكتب الاتصال, منظمة اليونيسف و منظمة مساعدات الامم المتحدة.

قائمة المراجع

- Abu-Lughod, Lila. *Do Muslim Women Need Saving?* Cambridge, MA: Harvard University Press, 2013.
- Ahmadu, Fuambai. S. and Shweder, Richard. A. "Disputing the Myth of the Sexual Dysfunction of Circumcised Women." *Anthropology Today* 25 no. 6 (2009):14-17.
- Robert Chambers. *Provocations for Development*. Warwickshire, UK: Practical Action Publishing, 2012.
- Cochrane, L. and Tamiru, Y. "Ethiopia's Productive Safety Net Program: Power, Politics and Practice." *Journal of International Development*. 28 no. 5 (2016):649-665.
- Escobar, Arturo. *Encountering Development: The Making and Unmaking of the Third World*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1994.
- Farmer, Paul. *Infections and Inequalities*. Berkeley: University of California Press, 2001.
- Green, Duncan. *From Poverty to Power*. Oxford, UK: Oxfam, 2012.
- Illich, Ivan. "Development as Planned Poverty." In *the Post-Development Reader*, edited by M. Rahnema and V. Bawtree, 94-102. London: Zed Books, 1997.
- James, Stanlie. M. "Shades of Othering: Reflections on Female Circumcision/Genital Mutilation." *Signs*. 23 no. 4 (1998):1031-1048.
- Lock, Margaret. "Afterward: Seeing Like an Anthropologist." In *Troubling Natural Categories*, edited by N. Adelson, L. Butt and K. Kielmann, 209-222. Montreal: McGill-Queen's University Press, 2013.
- McGovern, Mike. "Popular Development Economics—An Anthropologist Among the Mandarins." *Perspective on Politics* 9 no. 2 (2011):345-355.
- Moyo, Dambisa. *Dead Aid. Why Aid is Not Working and How There is Another Way for Africa*. New York: Farrar, Strauss & Giroux, 2009.
- NCTPE [National Committee on Traditional Practices of Ethiopia]. *Old Beyond Imaging Ethiopia – Harmful Traditional Practices*. Addis Ababa, Ethiopia: National Committee on Traditional Practices of Ethiopia, 2003.
- Obermeyer, Carla. M. "Female Genital Surgeries: The Known, the Unknown, and the Unknowable." *Medical Anthropology Quarterly* 13 (1999):79-106.
- Russell-Robinson, Joyce. "African Female Circumcision and the Missionary Mentality." *A Journal of Opinion* 25 (1997):54-57.

Scott, James. C. *Seeing Like a State: How Certain Schemes to Improve the Human Condition Have Failed*. New Haven, CT: Yale University Press, 1998.

Sulkin, Carlos. D. Londono. "Anthropology, Liberalism and Female Genital Cutting." *Anthropology Today* 25 no. 6 (2009):17-19.

Weber, Eugen. *Peasants into Frenchman: The Modernization of Rural France, 1870-1914*. Stanford: Stanford University Press, 1976.

ملاحظات

1. See Logan Cochrane and Y. Tamiru, "Ethiopia's Productive Safety Net Program: Power, Politics and Practice," *Journal of International Development* 28 no. 5 (2016):649-665.
2. I cannot claim to be the first to write about "seeing like an anthropologist;" others have done so, including Lock (2013), though with slightly different objectives.
3. Those who have called on international development practitioners to reform their activities include Robert Chambers (2012), Paul Farmer (2001), and Duncan Green (2012). A more radical critique suggesting that the provision of aid causes greater impoverishment can be found in Arturo Escobar (1994) and Ivan Illich (1997). Dambisa Moyo (2009) has called for an end to international development projects.
4. Those interested in an anthropological perspective of the views of other development actors can read McGovern's (2011) article on the works of Collier.
5. I use the term outsiders to refer to those external to the communities, either as non-members or as those not living within or near that particular location, and am not referring only to international staff.
6. NCTPE, National Committee on Traditional Practices of Ethiopia, 2003
7. The project proposal and reports mentioned in this chapter are internal organizational reports not available to the public. The purpose of the reports is to inform programming, which differs from academic research articles that are made available to the public (although not always open access). While these practices appear quite different, there are some similarities: organizations publish publicly available reports on their work based on the totality of the data collected, but these reports do not include all of the information that they have. Similarly, not all data collected by academic researchers is made available to the public nor is it all published, rather a selection of that data is published in academic article and books.

8. Eugen Weber, 1976, *Peasants into Frenchman: The Modernization of Rural France, 1870-1914*. Stanford University Press: Stanford University Press, x.
9. Leviticus 11:7–8: “And the pig, because it parts the hoof and is cloven-footed but does not chew the cud, is unclean for you. You shall not eat any of their flesh and you shall not touch their carcasses; they are unclean for you.” Quran 2:173: “He [God] has only forbidden to you dead animals, blood, the flesh of swine and that which has been dedicated to other than God.”
10. Cochrane and Tamiru, “Ethiopia’s Productive Safety Net Program.”